

ثمرة بلا أغصان



نسلت بين الجموع كي تفوز بنظرة إليها، وراحت تتأمل ذلك الوجه البريء وذلك الجسد المغري وتلك الملامح التي تعبر عن روح شفافه استطاعت ببساط أن تأسر أكثر شباب القرية ثراء، وجعلته يقف في وجه عائلته حتى تسمح له بالزواج منها.

أغمضت عينيها وهي تتذكر كيف تخلت عنها، وسقطت الدموع تبكي تلك الليلة التي استسلمت فيها لمن تحب، وأعطته حقا لا يستحقه، ليلة حب كستها غيوم الغدر فأثمرت جنينا كرهت أن تحتفظ به، وعملت بجد في التخلص منه ولكنها فشلت، خشيت من افتضاح أمرها خاصة عندما نصبت مشاعر الآدمية لدى ذئب الحب، وتركها تتخبط، محاولة تفادي عاراّ أوشك أن يتلبسها، اعتزلت الجميع، وتوارت تماما عن الأنظار إلى أن وضعتها ذات ليلة ممطرة، حولت شوارع القرية إلى وحل تغوص فيه الأقدام .

لم تضمها إلى صدرها، لم تنظر إلي ملامحها الدقيقة، صرخات الطفلة أثارت جنونها فوضعت يدها على فمها محاولة إخراج تلك الروح العنيدة، لولا أن تداركتها مشاعر أقوى من رغبتها في الانتقام من حبيب غادر وثمره حب جاءت لكي تكشف ستراّ طالما توارت خلفه، لفتها في خرقه بالية وبید مرتعشة ألقت بها إلى عرض الطريق.. ليل تواطأت ظلمته معها وعادت إلى بيتها محاولة اقتلاعها من قلب كان السبب في نكبتها. تطوعت إحدى نساء القرية بكفالتها وبالرغم من كل شيء كانت تلقب "ببنت الحرام"، عندما شبت كان شغل

نساء القرية الشاغل هو الربط بين ملامحها ولامح مطلقات القرية وأراملها حتى يكشفوا عن شخصية تلك الآثمة التي تخلت عن نقائها ولطخت بالعار طفلة لا ذنب لها سوى أنها نتيجة طبيعية لضعف إنساني المشاعر، حيواني الرغبات .

جلست بجوار "عريسها " في شموخ استمدته من ذل تجرعه منذ بدأت تعي الحياة، ترتدي ثوبا ناصع البياض لم تجرؤ فعله والدتها على تدنيسه هذه المرة .

تمنت لو وقفت بجوار ابنتها تتلقى التهاني ككل أم، تمنى لو احتوتها بذراعيها واحتوت بداخلها كل تلك السعادة التي تشع من عينيها، سلبها الموقف اتزانها وأخذت تقترب إلى أن كادت تصل إليها، وتذكرت يوم أن ذهبت إليها لتخبرها بأن من تقف أمامها هي أمها الحقيقية وطلبت منها أن تسامح يدا آثمة ألقت بها متعمدة في وحل الشوارع فنظرت إليها تلك النظرة التي جعلتها تذرف كل تلك الدموع التي لن تصدر سوى عن قلب عاش طوال عمره بالظلام وما أن صادفت عينيها الخفاشيتين ضوء الندم حتى أذل كل الدموع .

تلاقت نظراتهما للمرة الثانية فاصطدمت عيناها بنكران لصلة ما، ما أن بدأها الحب حتى فسمها العار، نظرة ملأت عيني العروس بدمعة كادت تترجاها أن تنسى ليلة الشتاء تلك وأن تبحث عن شيء آخر تدعه كل مشاعر الندم .